الفصل الثانى

النزعة الإستهلاكية فى مجريات الأحداث

- أن الهدف من هذا الكتاب هو عدم الدخول فى المجادلات النظرية بشكل زائد عن الإستهلاك كنشاط واقعى بدلاً من كونه ظاهرة إجتماعية مجردة ، فمن الضرورى وضع أسس نظرية لتبنى القضايا التى تناولها هذا الكتاب فى تضاعيف صفحاته .

- وكأساس قاعدى فإنه من المحتمل أن نبدأ البناء فيما يسمى «علم إجتماع النزعة الإستهلاكية» ، وما هو الدور الذى يلعبه الإستهلاك كنظرية إجتماعية كلاسيكية ، وأى الأشكال الرئيسية ترتبط ظاهريا بعلم الإجتماع الإستهلاكى ، وما هى العلاقة بين الإستهلاك والحداثة الأكثر تقدماً ، وما هى المقدمات الأساسية اللازمة للاقتراب من الفهم المحدد للإستهلاك اليومى ، وإستنتاج الخطوط العريضة للإرتباط والتعقيد العضوى المتصل بتلك الآفاق للتحديد العلمى الإجتماعى للإستهلاك .

الإستهلاك والنظرية الإجتماعية الكلاسيكية :

- بينما من الناحية التاريخية قد دمج ما وصف «بعلم الإجتماع الإستهلاكى» والذى وضع كأساسيات بنائية كبيرة . وبكلمات أخرى فقد تم تطوير المعانى المحددة للإستهلاك من الناحية التقليدية من وجهة النظر البنائية كقوائم للخبرة ذات الفصول والطبقات الكاملة وصولاً للمجتمعات نفسها .

- وحتى وقت قريب فقد ذهب علماء الإجتماع إلى إعتبار الإستهلاك ليس إلا منتج ثانوى للإنتاج من قريب أو من بعيد ، وذلك كجزء من التحول نحو الفهم للآفاق الثقافية لعملية الإستهلاك فيما نقصده من الدراسة .

- ويتضمن هذا السرد إلى اعتبار المشاركة الخاصة للنظريات الأربعة الكلاسيكية المتوافرة بصفة خاصة فى هذا المضمار ، فإن أى منها قد ساهم بمشاركة متميزة التنمية والتطوير طويل المدى «لعلم الإجتماع الإستهلاكى» . وأن المناقشات المختصرة لتلك النظريات لا تعتبر أساساً يعتمد عليه كشف حسابات مقارنة للنظريات ، ولكن لمنح فرصة متاحة للمذاق النظرى والتناظرى لتشجيع القراء على تتبع نافلة ومجريات والمعنى الذى تعنيه الأحداث .

نظرية كارل ماركس

Karl Marx

- على الرغم من الميل لإهمال علم الإجتماع لموضوع الإستهلاك ، إلا أنه يجب التركيز عليه من وجهة نظر المؤلف وأن علم الإجتماع قد أكد – بطريقة تقليدية – على دور الإنتاج فى تطوير الرأسمالية فى ظل تكلفة الآفاق الثقافية

للإستهلاك (أبحاث فين ، ليوبولد) (Leopold و Fine) سنة ١٩٩٣ م .ولقد تدارس «كارل ماركس» (Karl Marx) فى كتابه «رأس المال» سنة ١٨٦٧ هذا الموضوع عن تأثير الخدمات ومستلزمات الإنتاج على الدور المتنامى لنظريات الإستهلاك . وكذلك دور الإنتاج فى تطور الرأسمالية على حساب المظاهر الثقافية ، حيث يعد الإستهلاك كعامل محفز لبذل الجهد والعمل المتواصل نتيجة لمساهمته فى تحليل الإحتياجات والحاجات الإنسانية الملحة ، ويرى العلماء «ماركس» ، (ليى) (Marx) ، (Lee) بأنه لابد من حتمية العمل من خلال منظومة العمل الإنتاجى لمقابلة الحق فى الإستهلاك وتوفيه الإحتياجات الإنسانية الأساسية والحصول عليها ، وأن تلك «المنظومة اليدوية أو الإنتاج المادى» له دوره الحاسم فى المعيشة ، والإحساس بالتبعية ، والإنتماء ، والشعور بالسلامة والأمن الشخصيين .

- أنه لابد أن ينخرط الناس فى مجتمع يسوده «الكادرية» أو التجمع فى مجموعات منمطة مترابطة ذات طابع مميز .
- وقد اعتبر «ماركس» بأن السلعة هى المجال الإنتاجى ، فإنتاج السلعة هى الأهم من إستهلاكها ، ولذلك يجب التركيز للإنتباه على «الإنتاج السلعى» كإنتاج كبير أهم من الإستهلاك الشخصى المباشر من وجهة نظر المستهلك ، بحيث ينمو الإحساس لدى الناس «بمكانية السوق» لغرض بيع السلع منه وتبادلها أهم من استعمالها ، وإيجاد «القيم المكانية» لنقل وتبادل تلك السلع .
- وقد ركز «ماركس» ، و «ليى» على الدور الطبيعى والرئيسى لعلاقة السلعة ، وقيمتها ، بإستهلاكها ، وبالأحرى قيمة السلعة ، وعلاقتها بالشكل الإجتماعى كعلاقات إنتاجية رأسمالية تؤثر بشكل نشط ومباشر على علاقات العمل ، والمجتمع ، مما يشكل للسلعة دوراً محورياً هاماً .
- وقد شكلت تلك العملية الفكرية دوراً ساحراً حول الإستهلاك والعمل والإنتاج خلال القرن التاسع عشر والذى كان المناخ مهيئ لتقبل أفكار «ماركس» بتشكيل منظمة «قوة العمل» ، و «وسائل الإنتاج» ، و «الإنتاج السلعى» ، والاستقبال الحقيقى والواقعى لإطار «العمل الجماعى» ، و «الإنتاجى المجتمعى» وتأثير تلك العوامل والمنوال التفكيرى على الإستهلاك والإنسان والتسويق ومكان السوق والنقل السلعى للمنتجات المصنعة والبضائع والتأثيرات الإجتماعية على الأفراد .
- وقد ناقش «ماركس» نقطة «الرفاهية السلعية» وتأثيراتها النسبية على السوق وعلى مظاهر الحياة الإجتماعية بحيث تخضع لقوانين «السوق والمكان» ، وأيضاً

أثر ذلك على البضائع ، والخدمات ، والإنسان ، والقيمة النقدية لتلك العلاقات في ظل الإنعزال الذى كان يعانيه المجتمع الرأسمالى والذى ظل سائداً حتى أواخر القرن العشرين الذى كان يوصف بأنه «مجتمع المستهلكين» ، حتى وصلت «الرؤية الماركسية» إلى قمتها نتيجة لأخطاء الرأسمالية فى وضع الإستهلاك كمظهر أساسى للقوى الإنتاجية ، وتنحية قوى إحساس الفرد بالمجتمع وبذاته .

- ومع ذلك فقد أخطأ «ماركس» (Marx) التقدير ليس فقط فى تقنين الرأسمالية ، بل أيضاً فى الصراع اليومى بين إنتاج السلعة ، وبين الإستهلاك ، إلى المدى الذى أصبحت فيه «النزعة الإستهلاكية كأسلوب حياة» .
- على الرغم من ذلك فإن «ماركس» ترك لعلماء الإجتماع رصيداً ثميناً ، وميراثاً تاريخياً فى التعبير عن تحليل دور الإستهلاك فى تطور الرأسمالية .
- أن ما ذكره «ماركس» عن خطورة عزل العمال بعد انتزاع قيمة فائض إنتاجهم ومنحه للغير فى ظل النظام الرأسمالى مما يجعل العمال فى مفترق الطرق بأن يتحول من مجال العمل كقوة إنتاجية وإجباره على أن يصبحوا مستهلكين ومشتريين لإنتاج غيرهم من زملاؤهم العمال المنتجين بما يحمل تلك الفئة الأخيرة بالأجور والرواتب والمعاشات والمساعدات والمعونات لزملاؤهم الذين أجبروا على ترك العمل المنتج وتحولهم كمستهلكين لإنتاجهم أو إنتاج غيرهم .
- ويرى «ماركس» بأن عجلة الرأسمالية لابد حتماً أن تحتاج للإصلاح وذلك عن طريق العمال أنفسهم . ولذلك كان «ماركس» هو أول العلماء الذى قدم تلك النظرية للمس الجيد الحاسم لتبيان هذا التناقض الواضح عن «التناقض الإستهلاكى» ، ولهذا فإن علماء الإجتماع الإستهلاكى مدينين لعالم «ماركس» لإلقاء الأسئلة والتى وضحت أخيراً بأنه يمدنا بدلالات غير مكتملة عن قواعد علم الإجتماع الإستهلاكى لتسلك طريقها الصحيح .

نظرية ماكس فابر

Max Weber

- هناك علماء قدموا نظريات أخرى كمشاركات ذات قيمة ليست فقط للفهم عن التصادم الإستهلاكى على مستوى المجتمعات التى نعيش فيها ، ولكن أيضاً كمعانى مستقبلية لفهم الدور المعاصر الذى تلعبه النزعة الإستهلاكية . ولقد خدم العمل الذى قام به «فابر» (Weber) الألمانى تلك الوظيفة للنزعة الإستهلاكية .
- وبصفة خاصة فإن المناقشات التى قدمها «فابر» (Weber) سنة ١٩٢٠ م عن دور «الكالفنية» (Calvinism) [وهى المعتقدات المسيحية التى بدأ تبنيها بظهور

«جون كالفين» (John calvin) فى تشجيع العمل فى الأعمال الشاقة ، والإتجاهات المتدينة الورعة والتى دارت رحاها فى تشجيع العمال على العمل وليس على إستهلاك الفائض من الإنتاج المتوافر لديهم . ومن منطلق تلك الرؤية بزغ نجم الرأسمالية بدقة حيث أن العمل الأخلاقى المميز أصبح مستطاعا ، حتى يمكن القول بأنه قد تم تشجيع إعادة الإستثمار أكثر من الإستهلاك ، وأن العمل الأخلاقى المتدين قد زودنا بأساس مادى قوى ، فالمستهلك المتدين يستطيع ممارسة حقه بطريقة متميزة .

- يرى «فابر» (Weber) بأن الرأسمالية تتصف بأنها اتجاه «ملاحقة الجرى وراء الربح بواسطة استمرارية دوران المشروعات الرأسمالية حيث أن ثبات تجديد الربح يسمى «الأربحية» (profitability) طبقاً لأبحاث «فابر» (Weber) سنة ١٩٧٨ .

- والمثير هنا بأن «ليى» (Lee)سنة ١٩٩٣ قد لاحظ بأن الأفضليات فى الإحتياجات هى التى تؤدى إلى تراكم رأس المال والذى يصبح ذو مدلولات إجتماعية وكذلك إقتصادية على نفس الوتيرة – وعلى الرغم من أن عمل «فابر» (Weber) قد تركز على البرهنة بأن الثورة الصناعية تتكون من تضيق الفجوة بين العالم المتسع وجعله كتلة واحدة تسلك مسلكاً متماثلاً فى عدة طرق وإتجاهات والتى من خلالها يتم تصنيع السلع والبضائع والتى قد تم إنتاجها ، وإستنتاجا لتلك العملية فإن الإستهلاك لا يتصل بالضرورة كمرحلة تالية بالعملية الإنتاجية ككل (طبقاً لأبحاث «فابر» و «كمبيل» (Campbell و Weber) سنة ١٩٨٧ م .

- وقد ربط «كمبيل» (Campbell) سنة ١٩٨٧ م بين الإنتاج والوقت مثل «ماركس» و «فابر» ، وعلاقة ذلك على المدى الطويل بالثورة الإستهلاكية والإنتاج ، ولو أن «فابر» قد وصف فهم الظروف الإجتماعية والتى تمهد لأن تجعل قيام تلك الثورة أمراً ممكناً ، وليس هذا هو مفتاح التركيز على نقاط التحليل للموقف . وقد نبه «كامبيل» الأذهان بالميل على التركيز للمعتقدات «الفابرينية» (Weberian) التى تنبه للتوسع فى الأهمية الإجتماعية للإستهلاك ، وأنه لتحديد رأى قاطع عن الإستهلاك فإنه يجدر مناقشة الطبيعة اللاعقلانية مع الجوهر الرئيسى لتبنى «روح الرأسمالية» وتزايد العطش لجلب المال أكثر فأكثر والذى يكون مصاحباً بالشعور القائم لتجنب المتعة التلقائية للحياة مع وضع المقدمات للأمنيات المعاصرة عن المدى والأشكال المرضية الناتجة عن الإستهلاك .

- وقد وصف «كامبيل» (Campbell) ظهور الخلق الرومانطيقى فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر مع أن إيجاد القيم المتزامنة تعيد الإستثمار وتقويه متضمنه النزعة العاطفية للناس كطريق للحياة ، بحيث أصبح الناس أكثر إدراكاً لإحتياجاتهم الخاصة بشكل تدريجى ، مع أن «كامبيل» يميل إلى المبالغة فى الدور الرومانطيقى للحركة لتشجيع الأشكال الحديثة للذة التمتع والتى تزودنا بحساب تاريخى عن ظهور الأشكال المعاصرة للإستهلاك ، ومدى ما يميز الدور الرمزى لقضية ازدياد الإستهلاك فى عالم يتساوى فيه حلم اليقظة التواق للإستهلاك ، وأن روح النزعة الإستهلاكية جعل تلك القضية قضية مادية فى المقام الأول ، والفكرة تقوم على أساس أن المستهلكون المعاصرون لديهم أمنيات نهمة لكسب ممثلين عنهم للتفاهم الجدى نيابة عنهم فى تلك الآلية من القضية والتى تدفع الناس إلى شراء بضائع معينة بحافزهم فى تجربتها بعد التمتع مسبقاً بها فى خيالاتهم ، فكل إنتاج جديد يريد أن يرى النور فلابد من وجود إحتمال إدراكى للوصول لهذا الطموح ، فالإستهلاك فى حد ذاته يخدم القيم الرمزية من الإستهلاك والتى تلعب دوراً إبتدائياً فى الطريق الذى يسلكه الناس لعملية الإستهلاك خلال هذا القرن .

نظرية «ثورستين فابلن»

(Thorstein Veblen)

- يعد «ثورستين فابلن» أحد أغلب المشاركين الكلاسيكيين المهمين للفهم الإجتماعى لعملية الإستهلاك ، والذى يحمل فى الذاكرة مدى التركيز على السؤال التقليدى عن الإستهلاك وتحليلاته ، والذى يرى بأن السلع والبضائع تعد بمثابة صناع للوضع والمقام الإجتماعى والتشريعى . وفى تحليلاته للأغنياء الأمريكيين الجدد الذين ظهروا فى نهاية القرن التاسع عشر والذين وصفهم «فابلن» (Veblen) سنة ١٨٩٩ م بأنهم «طبقة شغل الفراغ الجديد» والتى أثرت على الاتجاهات الحياتية للطبقات الراقية فى أوروبا خاصة الحد الأعلى للكتلة المجتمعية والإستهلاك الإجتماعى بشكل مستمر ، وخلق عادات جديدة بالترتيب كخطوة أعلى من «التجديدية» بظهور منوال جديد «للثروات التضخمية» المستمرة ، والتى كان المحرك الأساسى لها بشكل هام هو الإستهلاك وذلك بإيجاد نوعيات ذات «مزاج خاص» و «تركيب إجتماعى مختلف» بشكل مرتب إستناداً على أنماط الإستهلاك الرفيعة المستوى الغنية ، (وذلك كسلوك مفصل لرجل محترم ، مرتاح الدخل ، متجنبا «الإستهلاك السفهى» ذو ذوق دقيق ، وأصبح ذو منصب يميزه بالتصرف العقلانى الدقيق النبيل ، فيترفع بتلك الخصائص والصفات عن «التدنى الإستهلاكى للسلع والبضائع») ، ومن ثم أصبح المعروض من السلع يليق بمتطلبات «الرجل المحترم

ذو الإستهلاك الحر والنوعية الصحيحة الجيدة للسلع ، والذى يعرف كيف يستهلكهم بأسلوب لائق (طبقاً للطبعة المعدلة للعالم «ڤابلن» (Veblen) المنشورة سنة ١٩٩٤ م والسابق نشرها سنة ١٨٩٩ م) .

- ولهذا فقد خلق «نظام جديد مسهب من الرتبة والدرجات كعلامات للإستهلاك والمستهلكين فى السلم الإجتماعى» ، تتميز «بالصنفية» ، و «عمليات المحاكاة» ، و «العمل المميز» كدليل واضح على أثر النمو على «الإنشاء اليومى للحياة الإجتماعية» ، مع أنهم صنفا من الناس محدداً كتطور جدلى فى ذلك الوقت كمجتمع إستهلاكى معاصر ، ولذلك فإن «التخطيط» بدرجاته يلعب دوراً فى الإستهلاك ، كما يلعب الإستهلاك دوره فى ربط الناس بعضهم ببعض فى مجتمع أكثر احتكاكا إلى حد كبير ، هذا بالإضافة إلى ظهورهم بشكل اعتبر «طبيعيا» لطبيعة الأشياء «كأسلوب حياة» .

- وقد ربط «ڤابلن» (Veblen) بين عملية «القفز الإجتماعى» و«الإدراك الشعبى المستعاد» بشكل بارز والذى حدث فى حقبة الثمانينات والتى كانت تعتبر بمثابة حقبة الإستهلاك بشكل خاص ، وأصبح الأمر فى حاجة ماسة لإيجاد الرصيد الكافى لفهم الإستهلاك بداية بطريقة دقيقة بارزة ، وهو بذلك يعتبر عالم الإجتماع الأول الذى يعترف بمغزى وأهمية «الإستهلاك الإجتماعى» بطريقة صحيحة .

نظرية «جورج سميمل»

(Georg simmel)

- «جورج سميمل» عالم اجتماع نظرى آخر اعترف بالأهمية المتزايدة للإستهلاك فى إنشاء حياة إجتماعية متحضرة . وقد بدأ فى كتابه ذلك فى أعقاب قرن مضى سنة ١٩٠٧ م حيث يرى أن المال هو أكثر شىء محدد للتبادل بصفة متخصصة حيث يتمثل فيه «مركزية الخبرة الحضارية» .

- وأنه يكون من المفيد والمحبب الإحساس إعلاء راية الإحتمال بأن الإستهلاك يكون أكثر من كونه «رغبة حدسية» وأنه يجب بالتحديد إيجاد بعض الدور الآلى لتشكيل النمطى للناس أكثر من جذبهم عن طريق الخبرة لطريق التحضر. فإن الحاجة ماسة لإيجاد ملتقى مركزى كقاعدة «للنضوج المالى الإقتصادى» والسوق الغير معلومة والتصرف تجاه الحياة الإجتماعية ودور الإستهلاك المتزايد الذى يلعب دوراً محورياً هاماً فى تلك الحياة ذات التشعب الإجتماعى ، والثقافى ، والنفسى ، وإستيفاء حاجات السكان .

- ولهذا فبعد قرن من الزمان فقد حدث الإرتطام المتوقع للتراث الإستهلاكى مع إحداث الرأسمالية المتأخرة ، وبصفة خاصة فى تشكيل حياة المدينة بدرجة كبيرة مثيرة للإهتمام .

- كما ناقش العالم «سيمـمل» (Simmel) سنة ١٩٥٧ فى شىء من التفصيل دور بيوت الأزياء كشكل إجتماعى فى التخطيط الصنفى السلعى للأزياء مؤكداً الشعور «بالفردية» و «العمومية» ، و«الأمن الإجتماعى» وعلاقته بالناس، حتى أن خلق «مجتمع تجارى» مضطرد الزيادة أصبح أمراً حتمياً يظهر أثره بطريقة أكثر حدة ، ومنها بيوت الأزياء ذات الأثر المظهرى والمجتمعى الذى يستعيد ذاته من إستقرار تخطى الأحاسيس كظاهرة للحياة الحديثة .

- وفى الحقيقة فإن التاريخ الكامل للمجتمع يعد فى الدرجة الأولى عبارة عن مساومة بين قوى التمسك والإمتصاص فى إطار المجموعة الإجتماعية ، وبين الحاجات الفردية وإمتيازات الأعضاء لتلك المجموعات ذاتها ، ويعد خاصية الإستهلاك للأصناف بمثابة الحاجز بين الفرد ونفسه فى معايير التواترات اليومية للحداثة من كافة جوانبها ، مما يلقى الظل على الدور الذى يشكله النزعة الإستهلاكية فى اللعب على مسرح الحياة اليومية فى أواخر القرن الماضى .

ظهـــور علـــم الإجتمـــاع الإستهلاكى :

- على الرغم من مساهمات المؤلفين «أمثال (Simmel ، Veblen) فى إقامة علم إجتماع حقيقى من الإستهلاك مما بدأ فى الظهر للواقع ، حتى فى حقبة الثمانينات عندما بدأ علماء الإجتماع فى ملاحظة التراث الثقافى الذى زودهم به بعض الكلاسيكيين من العلماء النظريون والذين أفاضوا فى مناقشة موضوع الإستهلاك والنزعة الإستهلاكية .

نظرية العالم «بيتر سايوندرز» (Peter Saunders)

- عمل «بيتر سايوندرز» (Peter Saunders) بعد ظهور التحرك الأكاديمى نحو الإستهلاك على الإهتمام بالأفضليات التى يحتمها الإستهلاك . فقد ناقش العلاقات التبادلية بين الإستهلاك ووسائل الإنتاج مع الإستدلال بمقدرات الخبرة للحياة المعاصرة ، والأكثر أهمية من ذلك رضاؤنا عن العمل والتفاعل مع المجتمع المعاصر عن كون الموضوع إستهلاك للبضائع والخدمات .

- كما أن «ملكية المكان والإسكان» تزودنا بالتعبير عن «الهوية الشخصية» كمصدر أمن مع المشاركة الجماعية ، ومنح الفرص المتاحة للمكان التسويقى لفئات المجتمع ، مع دفع الرسوم والضرائب التى تحددها الدولة ، بما يقدم تحميل ضيق أيضاً على الإستهلاك والتى تعد محدودة بمقارنتها بالإستهلاك الخاص والجماعى .

- ويـرى « (Saunders) سنة ١٩٨١ ، (Warde) سنة ١٩٩٠ م بأنه على الرغم من فرض تلك الرسوم فإنه يجب التوصية على إبراز أهمية الإستهلاك «كمشروع» مثير للمناقشة الجدلية الإجتماعية بين علماء علم الإجتماع عن حتمية التساؤل عن الإستهلاك .

نظرية «بيير بورديو»

(Pierre Bourdieu)

- يعد «بيير بورديو» (Pierre Bourdieu) واحد من أكبر علماء الإجتماع البارزين فى أواخر القرن العشرين ، وهو واحد من كبار المعلقون المهمون على أسئلة الإستهلاك فى العالم المعاصر .
- وقد جرى «بيير بورديو» على منهج «ڤابلن» فى طرح الأسئلة وعناوين المقارنة الإجتماعية خلال عملية الإستهلاك ، كما عرض رؤيته للإستهلاك كوسائل مؤسسية ، وأظهر بطريقة مجددة مدى التعبير عن الإختلافات بين المجموعات الإجتماعية .
- وقد أكد «بورديو» سنة ١٩٨٤ م بأن دافعية البشر للتحرك هو فى حاجتهم فى إعادة الإنتاج للمجموعات النمطية للأفضليات القائمة على تحديد الصنف . وما فعله «بورديو» بأن وصف «رأس المال الثقافى» الذى هو الشيء الحاسم فى هذا المجال : بأن الفئات والأصناف المختلفة والمتباينة فى تأهيلها التعليمى تنول حظها من الآفاق المختلفة لرأس المال الرمزى . ولهذا فإن المجموعات السائدة تستعرض تفوقها من خلال الزيادة فى ثقافتها وبالتالى إستهلاكها العالى . والمهم هنا بأن هناك ربط بين الكميات المستهلكة وبين قاعدة المصادر الثقافية وما يلائمها من الحياة اليومية للمستهلكين ، وأن الوصول لهذه المصادر تعتمد على الوصول الإقتصادى لتلك المصادر ، والمعايير الفردية الإجتماعية والثقافية لوصول الأفراد لحاجاتهم .
- كما يدخل فى عملية الإستهلاك العوامل البيولوجية للحاجات الإستهلاكية ، والمزاج النفسى والرضاء الشخصى والجماعى ، والإشارات والرموز والأفكار والقيم الإستهلاكية، ومعدلات الإستهلاك والعلاقة بينها وبين وسائل الإنتاج مع خبرة الحياة المعاصرة بأفضلياتها المختلفة ، وكذلك العادات والتراكيب الإجتماعية والتفاعل بين الفرد والمجتمع .
- ولهذا فقد تطورت العادات المعرفية اليومية والثقافية كإنعكاس لروتين الحياة الملائم للتراث الثقافى ودورها المحورى فى أساليب تلك الحياة ، والتى أدت إلى الإنتاج المخطط والعلاقات المنظمة بميزان الإدراك المعرفى ، والتوزيع الإجتماعى الرمزى ، والتأثيرات اليومية بالتشكيلات الصنفية وأساليب الإستهلاك .

الإستهلاك من الوجهة التفاوضية :

- فى حقبة الثمانينات وأوائل التسعينات بدأ الإستهلاك يأخذ شكلاً تفاوضياً وبشكل تدريجى بين المهيمنين على الإنتاج وبين المستهلكين خصوصاً صغار الناس منهم ، وبين المستعملين للمصادر التى ينتجها صغار الناس كصناعات شعبية بشكل مبدع وتصميم حديث ، أى تفاوض بين الكبار والصغار من البشر والقوى الإقتصادية .

- وفى مجريات هذا التفاوض ظهرت عوامل وأشكال الخبرة والهوية الشخصية والإجتماعية ، والحرية والمبالغة فيها ، ونمط الإستهلاك ، والطبيعة التجريبية للإستهلاك ، وجلب الهويات إلى المجال التجارى ، والإستهلاك الشعبى للسلع بشكل جزئى أو بشكل كلى مما يبين ويجرب التناقض الإستهلاكى فى المدرسة، والكلية ، والمصنع ، والإنتاج ، والجوار ، كأعضاء وجماعات ، كأجناس ، وسباقات ، كأصناف ، وأعمار ، مما حرك ما يسمى «البرنامج الإستهلاكى الإجتماعى» فبعض العلماء يرونه «إستهلاك منمط» ، والآخرون يرونه «إقتراب إجتماعى للإستهلاك ، مما حدى بدور جديد فى الإعلان والإعلام والدعاية للمنتجات والسلع لتنشيط إستهلاكها وأدى لظهور «علم إجتماع الدعاية والإعلان» وتأثيره المتميز على الإستهلاك كموضوع إجتماعى يدفع الإستهلاك بشكل سريع ويربطه «بالتفوق الحضارى» أو الحضارة الفائقة المميزة بشكل قوى وتركيز أساسى .

الإستهلاك والنزعة الحضارية المتفوقة :

- يشكل التزايد الإستهلاكى دوراً بارزاً فى الحياة الإجتماعية المعاصرة بشكل تدريجى إلى الدرجة التى دعت العلماء النظريين الإجتماعيين إلى القول بأنه هناك ضرورة لإنشاء «علم الإجتماع الإستهلاكى» .

- ومما دعى إلى هذا تزايد الإستهلاك مع زيادة «النزعة الترفية الحضارية» مما يمثل منعطفاً خطراً على الطريق يجعل – وبسرعة – بإيجاد الضوابط السليمة والدقيقة لكبح جماحه ، وربطه بالتوعية الثقافية والإجتماعية والتطور الشعبى للبشر ، مع وضع الركائز للحدود القصوى والوسطى والدنيا للإستهلاك إعتماداً على خاصية العمليات الرمزية للإستهلاك ، والخبرة الإجتماعية الواقعية، والوظيفة الأيدلوجية للنزعة الإستهلاكية كأسلوب حياة .

- وقد ناقش كثير من العلماء والمؤلفون هذه القضية على مدى سنوات امتدت من سنة ١٩٨٢ حتى سنة ١٩٩٥ م متضمنة الدور الذى يلعبه الإستهلاك فى التفوق الحضارى ، والعلاقة المباشرة وغير المباشرة بينهما لخلق مستهلك جديد ذو نوعية ورمز شعبى وثقافى جديد يميل للحداثة ، والضوابط الإستهلاكية التى يجب تنفيذها حتى لا تصبح تراث متحفى ، أو تنفجر تلك الإمتيازات لبعض الطبقات ما بين تراث عالى أو بسيط ، أو عشوائى الإستهلاك ، مع تحديد قسماته ما بين التراث الشعبى العالى والمنخفض بحيث لا يصبح مشوشا بدرجة زائدة ويمكن التحكم فيه بلا تردد أو قلق ، علـى أن للسعر مكاناً واضحاً فى ذاته غير غافلين منحه الحرية الإقتصادية فى التعامل ، وتزويده بوسائل لازمة

للتمييز الرمزى إلى المدى الذى لا يجعل التفوق الحضارى يعنى كلية مجتمع كامل الإستهلاك .

- وذلك بوضع مقاييس وأسلوب جديد لقياس تلك العلاقات بأسلوب جيد ، وتصميم جيد ، وذوق جيد يحتل مظهر حياتنا اليومية واضعاً فى الإعتبار «الصورة ، والوقت ، والخبرة ، والأسواق ، ونمط الإستهلاك ، والإحساس ، والفن، والقيم الجمالية ، والأمثلة البارحة للمعرفة ، والإحساس بمعنى الحياة» .

- وممن تدارسوا تلك الموضوعات العلماء «دافيد ليون» (David Lyon) سنة ١٩٩٤ م ، و «مايك فيزرستون» سنة ١٩٩١ م (Mike Featherstone) ، و «جين بودريليرد» سنة ١٩٨٨ (Jean Baudrillard) وقد ركزت العالمة الأخيرة على المتوسط الإستهلاكى للفرد والمجتمع ، و «علم بيئة الفصيلة الإنسانية» وتأثيرهما على الإستهلاك ، وعلى المجتمع الإستهلاكى ، والنمط والمؤانسة الإستهلاكية ، وموضوع المنتج الجديد ، والمنتج الإحتكارى ، والنظام الإقتصادى المحلى ، والعالمى ، ومقابلة الإحتياجات اليومية المطلوبة من المستهلك، وربط الأشياء بصناعة المال فى (عالم الهوس الهستيرى العام) والذى جعل من كل شىء سلعة قابلة للتبادل ، لتحقيق الأمنيات البشرية فى سيولة تامة، مما جعل المواطن الفردى العادى أو المستهلك معاق فى الإحساس بالمواطنة فى ظل هذا الخضم الذى لا يعنى إلا بالإستهلاك فى المقام الأول دون النظر إلى القيم والعلاقات الإقتصادية والإنسانية (مما جعله كقطعة فحم فى مجتمع يقرب النار منه) دون النظر إليه كمخلوق بشرى ، ويشجع هذا الإتجاه وسائل الإعلام الجماهيرية بدرجة كبيرة ، مما جعل العالمة تصفه (بالمجتمع السطحى الإستهلاكى الأكثر إثارة) .

نظرية «فريدرك جيمسون» (Frederic jameson)

- علل «فريدريك جيمسون» (Frederic jameson) سنة ١٩٨٤ م الطبيعة التجريبية للخبرة الإستهلاكية والحاضرة الفائقة وعلاقتها بالإستهلاك إلى المنطق الثقافى للرأسمالية الأخيرة ، حيث أنها تعتمد بشكل كمى على الهيكل الصافى للرأسمالية أكثر من إعتمادها على الخبرة المتحصلة ، لذلك فقد اقترح «جيمسون» بأن أى مركز على النزعة الحضارية الفائقة يؤثر فى التراث سواء كان ذلك تبريراً أو محددة – أيضاً – إحداهما فى نفس الوقت ، وبشكل ضرورى ، أو بشكل ضمنى أو بشكل واضح للوضعية السياسية المهيمنة على طبيعة الرأسمالية المتعددة الجنسيات ، ولذلك «النزعة الحضارية الفائقة (Postmoderism) مجدد اعتبار سياسى أكثر من كونها أسس لفرض نظرى

يتعلق فيه عنصر الإنتاج اليومى الإجمالى للسلع إلى الضرورة الإقتصادية الملحة، بداية من السلع والبضائع ، والملابس ، والسلع الأسماسية والكمالية وصولا إلى إنتاج وإستهلاك الطائرات .

- فالعلاقة بين الإحساس بالنزعة الحضارية الفائقة ، والشركات متعددة الجنسيات، والرأسمالية الإستهلاكية الأخيرة ، وأشكال الإستهلاك ، والمساهمين والمنتجين، والتصادم الإستهلاكى هى عبارة عن منظومة واحدة جوهرية يلعب فيها الدور الإجتماعى فى الإستهلاك دور المكياج المعاصر للمجتمعات .

آراء أخـرى :

- دعت (Baron Isherwood و Mary Douglas) «مارى دوجلاس ، وبارون أشيروود» سنة ١٩٩٦ م إلى الإقتراب من النزعة الأنثروبيولوجية طبيعة إقتصادية للإستهلاك ، بقدر الإعتراف بالإستهلاك كمؤثر ثقافى وإقتصادى فى إستعمال السلع الإستهلاكية فى أطر ثقافية مسبقة التجهيز وكنمط للإتصال بين الفرد والمجتمع .

- فنظرية الإستهلاك يجب أن تكون نظرية التراث ونظرية الحياة الإجتماعية كمنظومة تهب الأشياء والسلع قيمها ؛ وتروج لعلامات المجموعات الخصوصية من الأدوار الإجتماعية فى ظل نظام المعلومات التى يجب توافرها ، مع زيادة الرؤى المعتدلة والتفاعل الإجتماعى المتناسق ، مع توافر درجات الحرية اللازمة لإستثمار السلعة مع الآلة ومع المجتمع والأفراد .

- ولـذلك يرى هـؤلاء العلماء ضـرورة توافـر «الشخصية» ، و «الخصـوصية» و «البساطة فى التبادل السلعى» من ضمن قسمات وتراكيب اجتماعية محددة يبرز فيها وجهة نظر المستهلكين لمعرفة المنتجات المعروضة بعد النظر للقوة الإنتاجية والإستهلاكية البنائية ويشمل ذلك الدعاية والإعلان وأوساط المستهلكين ، والأنماط المؤسسية الإستهلاكية والإجتماعية ، كما أن إدارة مكان إنتاج وعرض السلع والبضائع بالكامل من قبل المستهلكين يقع ضمن القواعد والرموز التى يجب وضعها فى الإعتبار والتنفيذ .

«هيلجـا ديتمار» (Helga Dittmar) :

- ناقشت العالمة النفسية الإجتماعية «هيلجا ديتمار» سنة ١٩٩٢ م الدور الحقيقى للشخصية الإجتماعية فى الإقتراب من الإستهلاك وإستثمار السلع من قبل المستهلكين ، وانتهت إلى أن الخبرات الفردية الخارجية أو الداخلية تشارك فى الحقيقة الإجتماعية الرمزية بطريقة متتابعة بحيث تندمج فى أشكال التعبير الرمزى مثل اللغة ، والسلوك ، والأشياء المادية والتى تستلهم على شكل وعى وتفاهم .

- من خلال وجهة النظر تلك اهتم الأفراد بكلتا المظاهر الموضوعية والرمزية من

الأشياء المادية فى بناء تمثيلهم كرمز للهوية التى يتم التفاوض من خلالها فى سياق التفاعل الإجتماعى .

«بيتر لينت ، و«سونيا ليفيتجستون»

(Peter Lunt and Sonia Livingstone)

- أوجز العلماء «بيتر لينت» ، و «سونيا ليفيتجستون» سنة ١٩٩٢ م تحليلاً مثيراً يوضح العلاقة بين الإستهلاك ككتلة وبين إنشاء الهوية إعتماداً على بيانات الخبرة التجريبية والتخطيط لإثبات تلك العلاقة لهذا الإستهلاك كخبرة يومية فى محاولة لتأكيد أن الإستهلاك هو عبارة إنتزاع خبرات الناس وأموالهم وأملاكهم مما يؤثر على هويتهم ورؤيتهم الإستهلاكية ، والتدخل فى تراثهم المادى بوسائل وشكل نشيط حسب الطلب الإجتماعى للسلع ، وإن خبرة الإستهلاك وهى واحدة من التناقضات التى تظهر لدى الناس كمعتقدات بالمعاصرة .

«يانيس جبريل وتيم لانج»

(Yiannis Gabriel and Tim lang)

- اقترب العلماء «جبريل ولانج» سنة ١٩٩٥ م نهائياً من الإستهلاك كتنويع متميز للحياة ، مع إبراز التناقضات التى تميز خبرة الإستهلاك والمستهلك ، وأن الشكل القدرى له دوره فى سياسة التسويق والإستهلاك ، وإن المستهلك الذى يبدو منتصراً هو عبارة عن مخلوق ضعيف وطيع بشكل سهل وسلبى وتابع فى معالجة المساعى الغامضة من القياسات الحية المستمرة التزايد الإستهلاكى ، وإن كل شىء فى الزمن البعيد بيد الخالق العظيم .
- وقد أبرز «لانج» و «جبريل» سنة ١٩٩٥ إستعماله لتعبير «المستهلك الصعب الشديد العقيدة» وهو ذو طبيعة وخبرة لا يستهان بها ، وتناقض متقطع ، وازدياد غير آمن ، فهو مستهلك تنافسى محتمل تنويع الأبناط .
- ولهذا يعتبر الإتجاه للنزعة الإستهلاكية ظاهرة متناقضة حقاً ، بحيث تدعم طريق التفاهم لتلك النزعة كعلاقة وتركيب ، ووكالة ، وتنظيم ، وعقيدة للفرد والمجتمع المعاصر .
- إن عبور جسر الفجوة بين المظاهر الثقافية والنفسية والإقتصادية للنزعة الإستهلاكية يمثل طموحاً سهل المنال حيث تمثل بالنسبة للمستهلك خبرة معيشية ومناقشة لدور التصميم فى تراث المستهلك ، والتصادم الإجتماعى للنزعة الإستهلاكية مع موضوعية الحياة الإجتماعية.
- أن وضع التكنولوجيا ، والأزياء ، والموسيقى الشعبية ، والرياضة تمثل تحليلاً إجتماعياً للإستهلاك والمستهلك وتفاعلها مع النزعة الإستهلاكية فى ظل حياة إجتماعية تعتبر المفتاح الرئيسى للأبعاد الأيدلوجية التى تلعب فيها تلك النزعة الدور الإيجابى الكبير فى ظل مظاهرة تاريخية ونظرية وواقعية من الحياة .